المبدأ 31

احتقر الأشياء التي لا تستطيع امتلاكها

المغزى:

إذا كان هناك شيء لا تريده ولا تستطيع امتلاكه: أظهر احتقارك له، لأن كلما قلّ الاهتمام الذي تُظهره فإنك ستبدو أكثر تفوقاً، وعندما تعتبر أي أمر غير مُدرك على أنه تافه وغير جدير باهتمامك تلك هي حركة قوية من قبلك، وبالسياق ذاته أدر ظهرك لكل ما يمكن أن يؤذيك على المدى الطويل وخاصة في مجال الصحبة والعلاقات الإنسانية، حيث من المستحسن أن تُشعر كل معارفك أنك تستطيع بسهولة أن تستغني عن صحبتهم. إذ عندما نهتم بشخص ما فإننا نصبح وإيّاه شريكين يتحرك كلٌّ منا على إيقاع يتماشى مع أفعال الآخر، حتى يفقد أحدنا زمام المبادرة بداعي الود، وهكذا عندما نعترف بتأثير دور الآخرين علينا نقع في مصيدة التهاون

obeikandl.com

والاستخفاف. بينما إذا تجاهلت الأصحاب في بعض المواقف إلى درجة إلغائهم من حساباتك قد يثير ثائرتهم، ومثل هذا الموقف بحد ذاته هو أسلوب قوي للسيطرة. بل هو أكثر من ذلك: ترك التافهين يموتون في تراب تفاهتهم.

الترفع عن توافه الأمور امتياز الأقوياء، فعندما تأتي إليهم مذمّةٌ من ناقص يستخفون بها، يظهرون أن ذلك لم يترك فيهم أثراً، يرسلون جواباً «حلواً» يتضمن أن الهجوم الدنيء الذي قام به الآخرون لم يُثر قلقهم.. وبالمقابل عندما يرتكب المترفعون غلطة ما فإن أحسن تصرف من قبلهم يكون في التقليل من شأن ما حدث، الازدراء ـ بالنسبة لهم ـ هو الرد المناسب والقوي على المزعجات الحقيرة. لأن فيما لو اعترفوا بمشكلة تافهة فإنهم بذلك يعطونها نوعاً من المصداقية، وكثير من الغلطات الصغيرة تصبح أسوأ حين نتوقف عندها ونحاول إصلاحها، بينما العلاج الممكن لها هو بتركها تذوي نفسها بنفسها كالنبتة التي نمتنع عن إروائها فتنتهي بعد أيام.

المثال

«لم يُوجعني ما فعلت ولو كانت طلبت مني أن تستقل براتبها لأجبت ولكن ما آلمني هو الالتفاف من خلفي وما يعني ذلك بأنه تصرّف بعدم الأمان وانعدام الثقة» بهذه الكلمات علّق خالد على تصرف زوجته أليسار.. اللذان بدآ حياتهما معاً على أساس من التعاون

والمشاركة في كل شيء، حتى راتب أليسار كان يُحوّل إلى حساب خالد في البنك وعند بداية كل شهر يحددان كم يلزم من الدخل ويسحبان المبلغ المتفق عليه ويتصرفان به لحوائجهما ويبقى ما تبقى من الحساب ادخاراً للأيام الصعبة باسم خالد.. وبقي الأمر على هذا الحال إلى أن عرفت والدة أليسار فنبهتها إلى مصير ما يحدث فيما لو اختلفا، وكيف أن زوجات انفصلن ولم يكن لديهن أي سند مالي وكيف أن الرجل تحت ضغط نزوة يمكن أن يتخلى عنها ويذهب بأمواله وأموالها معاً.. فجأة تهاوت أليسار ولم تنم ليلتها وظلت تفكر فيما تفعل.. هل تناقش زوجها بالأمر.. ولو ناقشت ماذا سيكون رد فعله.. وهما المتزوجان عن حب، وقررا بناء حياتهما مدماكاً مدماكاً معاً؟ لم تستطع بعد أيام أن تفاتحه بالموضوع بل ذهبت إلى المصرف وفتحت حساباً خاصاً بها وقامت بتحويل راتبها إليه.. وفي بداية الشهر كالمعتاد وأثناء إعداد لائحة بالمشتريات المطلوبة أخرجت أليسار من حقيبتها شيكاً مصرفياً بنصف راتبها وقدمته له.. وهنا تقول أليسار: «كأنني أخرجت خنجراً وطعنته به.. لم يتكلم ولكني شعرت بألمه.. وفي صباح اليوم التالي أعاد إليّ الشيك ورفض مجرد النقاش بالموضوع وأحسست عندها بأن شرخاً هائلاً وقع بيننا.. خاصة عندما قال لي بكل هدوء: سنعيد النظر باحتياجاتنا ونفكر مرة ثانية بأمور كثيرة لأننا سوف نعيش على راتبي فقط.. لحظتها شعرت أن الأمان الذي كنا نعيشه انتهى.»

قرر خالد وأليسار أن يكون البيت مشاركة بالعمل والمسؤولية والإنفاق.. ورضيا معاً في تدبير ذلك.. ولكن فجأة انقلبت المفاهيم.. هو يعلي من أمر كرامته ويحتقر ليس ما لا يمكن امتلاكه وإنما ما يمكن امتلاكه أيضاً، كان على مستوى من الكبرياء، بينما هي وقعت في إحساس عدم الأمان، بذلك الشعور الذي أملته عليها أمها: بأن الرجل من الممكن أن يبيع في نزوة عشرة عمر فاحتقرت رفقة حياة حتى عشش الخوف والترقب والقلق في حياتهما وفقدا لحظات الأنس التي كانت سابقاً ليحل محلها البروتوكول الأسري الجاف.

الملخص:

اعرف كيف تلعب ورقة الاحتقار فهو أكثر أنواع الانتقام حصافة، فإذا رأيت معجزة ولم تُعاملها على أنها كذلك فإن طابعها كمعجزة سوف ينتهي.. وهكذا حال الأمور السخيفة.

المرادف:

- الإنسان: ارفسه.. سوف يسامحك، تملقه.. فقد يكشفك أو لا يكشفك، ولكن تجاهله سيكرهك.

(إدريس شاه)

- احتقر تُحترم، ولكن إن كان تقديرنا عالياً جداً لشخص ما، فإن علينا أن نُخفي ذلك عنه كأنه جريمة، وليس ذلك عملاً مرضيًّا ولكنه صحيح، فالكلب لا يطيق أن يتلقى معاملة طيبة أكثر مما ينبغي، فما بالك بالإنسان؟

(آرثر شوبنهاور)

- إذا كنت تعمل أشياء كبيرة وعظيمة فإنك تتواجه من أناس كبار، بينما إذا كنت تفعل أشياء صغيرة سوف تنتقد من أناس صغار.. وحدهم الناس الصغار يحدثون البلبلة والاضطراب.. فلا تكترث.

(رئيس وزراء فرنسي سابق)

- لنتذكر دائماً أن الغاية لا تبرر أبداً.... الدناءة.

- إذا رفسك أحد من الخلف، فاعلم أنك في المقدمة.

■ ■ ■

obeikandl.com